# الفاروق عمر

جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه
" حديث شريف "

محمد حسين هيكل

## الجزء الأول

الطبعة التاسعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١٦٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

# موضوعات الجزء الأول


تقديم

| | | |
|---|---|---|
| الفصل الأول | : | عمر فى جاهليته |
| الفصل الثانى | : | إسلام عمر |
| الفصل الثالث | : | عمر فى صحبة النبى |
| الفصل الرابع | : | فى عهد أبى بكر |
| الفصل الخامس | : | عمر يستفتح عهده |
| الفصل السادس | : | أبو عبيد والمثنى فى العراق |
| الفصل السابع | : | فتح دمشق وتطهير الأردن |
| الفصل الثامن | : | القادسية |
| الفصل التاسع | : | فتح المدائن |
| الفصل العاشر | : | المسلمون فى العراق |
| الفصل الحادى عشر | : | جلاء هرقل عن سورية |
| الفصل الثانى عشر | : | عمر فى بيت المقدس |
| الفصل الثالث عشر | : | مصير خالد بعد إخضاع الشام |
| الفصل الرابع عشر | : | المجاعة والوباء |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝

# تقديم

ليس فى التاريخ الإسلامى ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجل تُردِّد الألسن اسمه ما تُردد اسم عمر بن الخطاب وهى تُردده وتقرن به ، فى إعجاب وإكبار ، ما عُرف عن عمر من جليل الصفات وعظيم المواهب . فإذا ذكر الناس الزهد فى الدنيا مع القدرة على النهل من أنعمها ذكروا زهد عمر . وإذا ذكروا العدل المطلق غير مشوب بشائبة ذكروا عدل عمر . وإذا ذكروا النزاهة لا يفرّق صاحبها بين أقرب الناس إليه وأبعدهم عنه ذكروا نزاهة عمر . وإذا ذكروا العلم والفقه فى الدين ذكروا فقه عمر ودينه . وأنت تتلومن أنباء ذلك فى الكتب ما تحسب الكثير منه مبالغة لا يكاد العقل يصدقها ؛ فهى أدنى إلى المعجزات التى تنسب إلى الأنبياء منها إلى ما عرف عن أكبر العظماء سموًّا وجلال قدر .

ويرجع ذلك إلى قيام الإمبراطورية الإسلامية فى عهده . فقد خلّف عمر أبا بكر على إمارة المؤمنين حين فرغ أبو بكر من حروب الردَّة ، وحين كانت جنود المسلمين تواجه الفرس والروم على تخوم العراق والشام . . فلما قُبض عمر كانت الإمبراطورية الإسلامية قد اشتملت العراق والشام جميعاً ، وقد تخطتهما فاشتملت فارس ومصر . بذلك بلغت حدودها الصين من الشرق ، وإفريقية من الغرب ، وبحر قزوين من الشمال ، والسودان من الجنوب . وقيام هذه الإمبراطورية العظيمة فى عشر سنوات معجزة لا ريب . والمعجزة أعظم قدراً بعد أن تحطمت فارس والروم الإمبراطوريتان صاحبتا السلطان على عالم يومئذ ، وتحطمتا بأيدى العرب الذين كانوا إلى سنوات قبلها قبائل متنافرة لا تهدأ منازعاتها ولا تطمئن فيما بينها إلى قرار .

أما وقد تمت هذه المعجزة فى عهد عمر وبتوجيهه فهو ، لا جرم ، رجل عظيم . وقد بدت بوادر هذه العظمة فى عهد رسول الله وفى عهد أبى بكر ، ثم ضاعف نصر المسلمين من بعدهما قدرها ، كما زادها مرّ العصور وأضاف إليها . فقد تبين الناس على تعاقب الأجيال أن هذه الإمبراطورية لم تكن وليدة عبقرية حربية تبقى الإمبراطورية ما بقيت وتزول بزوالها ، بل كانت قائمة على أساس قوى من خُلق متين وحضارة سليمة الأساس . فإذا صح أن ينسب الناس بعظمة يوليوس قيصر والإسكندر الأكبر وجنكيز خان ونابليون لأنهم أقاموا من

الإمبراطوريات ما أقاموا ، فأحْرِ بهم أن يكونوا أكثر إشادة بعظمة عمر بن الخطاب وأكبر قدراً لآثارها .

تمت المعجزة بقيام الإمبراطورية الإسلامية فى عهد عمر . فقد كان المسلمون ، إلى يوم استُخلف ، يخشون الفرس والروم ، ولذلك اثّاقلوا حين ندبهم عمر للذهاب إلى العراق يواجهون الفرس فيه . وكان لهم من العذر عن تثاقلهم أن كان اسم فارس لا يزال يزلزل القلوب والأسماع ، وكان جند المسلمين قد جلوا عن العراق بعد ذهاب خالد بن الوليد إلى الشام بأمر أبي بكر . وأقام الناس على تثاقلهم أياماً ، ثم لبى أبو عبيد الثقفى دعوة عمر وذهب فى بضعة آلاف يلقى جنود كسرى ، فنُكبَ فى غزوة الجسر إذ مات وانهزم جيشه .

ولم تزعزع هزيمته من عزمة عمر ، بل زادته إقداماً ودفعته لينهض بنفسه على رأس المسلمين يريد مواجهة الفرس ليمحو عار تلك الهزيمة . وقد كان فاعلاً لولا أن صرفه أولو الرأى عما أراد . عند ذلك أرسل سعد بن أبي وقاص مكانه . وظفر سعد بالفرس فى غزوة القادسية ظفراً حاسماً ؛ فتح له أبواب عاصمة الفرس ، وفتح للمسلمين أبواب فارس جميعاً . وفى هذه الأثناء كان أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد يسيران مظفَّرين فى الشام ، يردّان هرقل عاهل الروم على أعقابه ، ويدفعانه دفعاً ليفر إلى عاصمة ملكه .

تم ذلك ولما تنقض من خلافة عمر سنتان . ومن يومئذ حالف النصر أعلام المسلمين حيثما ساروا ، ففتحوا المدائن وفتحوا بيت المقدس ، ثم تخطوا العراق إلى فارس ، وتخطوا الشام إلى مصر فاستقر لهم الأمر فيهما . وكذلك شاد عمر الإمبراطورية الإسلامية فى عشر سنوات لتستقر فى العالم ، وتوجه حضارته الأجيال والقرون .

أليس من حق عمر ، وذلك شأنه ، أن تردد الألسن اسمه ، وأن تذكر من جليل صفاته وعظيم مواهبه ما يثير فى النفس غاية الإعجاب والإكبار !

وهذا الإكبار يدعونا لتمحيص التاريخ وتحقيق وقائعه ، حتى نستكشف العوامل التى أتاحت لعمر تشييد الإمبراطورية . فلولا أن تضافرت عوامل عدّة لما كفَتْ عبقريته وحدها لتشييدها .

وقيام الإسلام أول هذه العوامل وأقواها . فالإسلام هو الذى وحّد العرب بعد شتات ، وجعل من قبائلهم المتنافرة أمة متضافرة ، ودفعهم لإذاعة تعاليمه وإعلاء كلمته ودَفْع من يريدون فتنة الناس عنه .

فقد كان العرب قبل إسلامهم ضعافاً أمام الفرس والروم وكانت مناطق كثيرة من



بلادهم خاضعة لنفوذ كسرى ونفوذ قيصر . فلما أسلموا أسرع هذا النفوذ إلى الزوال عن شبه الجزيرة كلها . مع ذلك ظلت هيبة الفرس والروم آخذة بنفوسهم ، حتى لقد حسبوا ، حينما دُعوا لغزو العراق ولغزو الشام ، أن حصونهما لا تؤخذ ، وأن جنودهما لا تقهر . لكنهم لم يلبثوا ، حين تخطوا التخوم وواجهوا هذه الجيوش وحاصروا هذه الحصون ، أن تبينوا أن السوس نخرها ، فهى كالجدار المتداعى ، تنقض أعاليه لأول صدمة ، وتندك أسسه ما وجدت المعول القوى الذى يأتي عليها من القواعد .

وإنما قدرَ العرب بعد إسلامهم على الفرس والروم ، لأن الإسلام أنشأهم نشأة جديدة ، وبث فيهم روحاً أحالتهم خلقاً جديداً . ذلك بأنه اقتحم على نفوسهم مناطق عقائدها وعباداتها ، واتصل بوجدانهم فى صميمه ، فألقى فيه بذرة التوحيد صافية الجوهر ، نقية من كل شائبة ، بسيطة لذلك كل البساطة . ثم إنه فرض عليهم من العبادات ما زادهم بالتوحيد إيماناً وما ربط بين قلوبهم بأوثق رباط . فرض عليهم الصلاة والصيام والزكاة والحج ؛ فأما ما وراء ذلك من سالف شعائرهم فقضى عليه إلى غير رجعة . بذلك تحررت نفوسهم من قيود الوهم ، وتطهرت قلوبهم من رجس الوثنية ، وشعر كل واحد منهم بأنه لا حجاب بينه وبين الله ما عمل صالحاً وأجاب داعى الله .

ولم يفرض الإسلام هذه العبادات على أنها شعائر رسمية من شأن الدولة ، بل هى فروض الله على المؤمنين به يثيبهم عنها ، ويؤاخذهم بتركها . فمن آمن بالله ثم لم يؤد لله فرضه فعلى الله حسابه ، ومن أدّى فرض ربه وعمل صالحاً فله عند الله مثوبة الصالحين ، وأعظم بها من مثوبة !

أخذ هذا الإيمان بمجامع القلوب فجمع بينها ، فانتقل أثره من الفرد إلى الجماعة . وما كان أعظم هذا الأثر ! كان المسلمون يجتمعون للصلاة ، فيربط اجتماعهم بينهم ، ويمحو توجههم إلى الله ما فى نفوسهم من غلّ ، فإذا هم إخوة يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه . ويؤدُّون فريضة الصوم فإذا غنيهم وفقيرهم سواسية أمام الله والناس ، وإذا غنيهم طهر الصوم نفسه يعطف على فقيرهم فينال رضا الله عنه ومثوبته له . ويؤتون الزكاة فتزيل ما بين طوائفهم من نضال ؛ لأنها تجعل للفقير حقًّا معلوماً فى مال الغنىّ . ويجمعهم الحج كل عام من مختلف بقاع الأرض ، ليتواصوا بالصبر والصلاة ، وليتعاونوا على البر والتقوى .

وكان النظام الاجتماعى الذى سنّه الإسلام بسيطاً كالنظام الروحى ، فكان له مثل أثره فى توحيد الجماعة العربية . كانت المساواة أمام الله أساس التوحيد الإسلامى ، والمساواة